قصص القرآن

السامري والعجل

قلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين

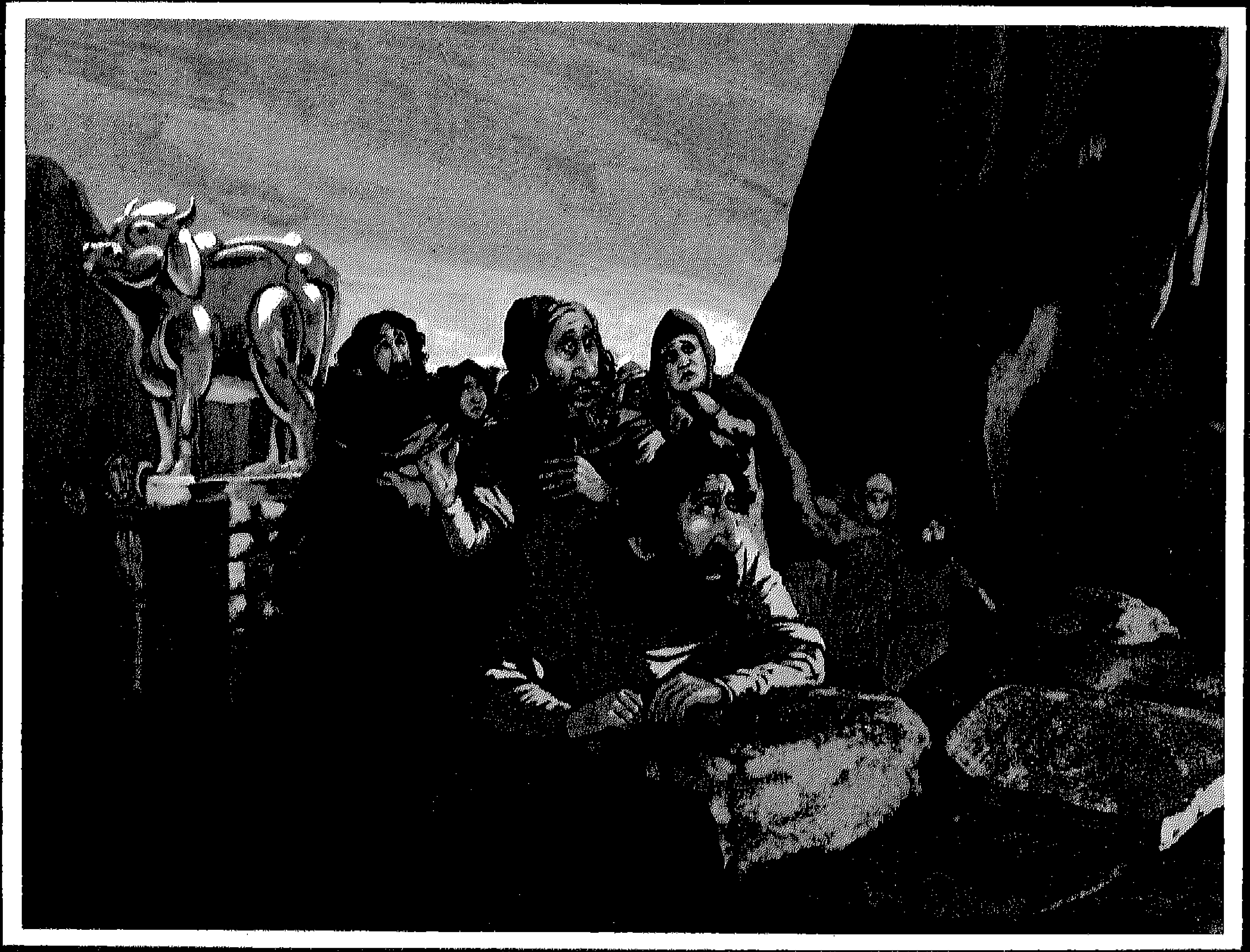

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

السامري والعجل

قلم: أحمد بهجت   ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

كان السَّامِريُّ رجُلاً من بني إسرائيلَ ، وقد خرجَ معهُم حين خَرجوا من مصرَ . .

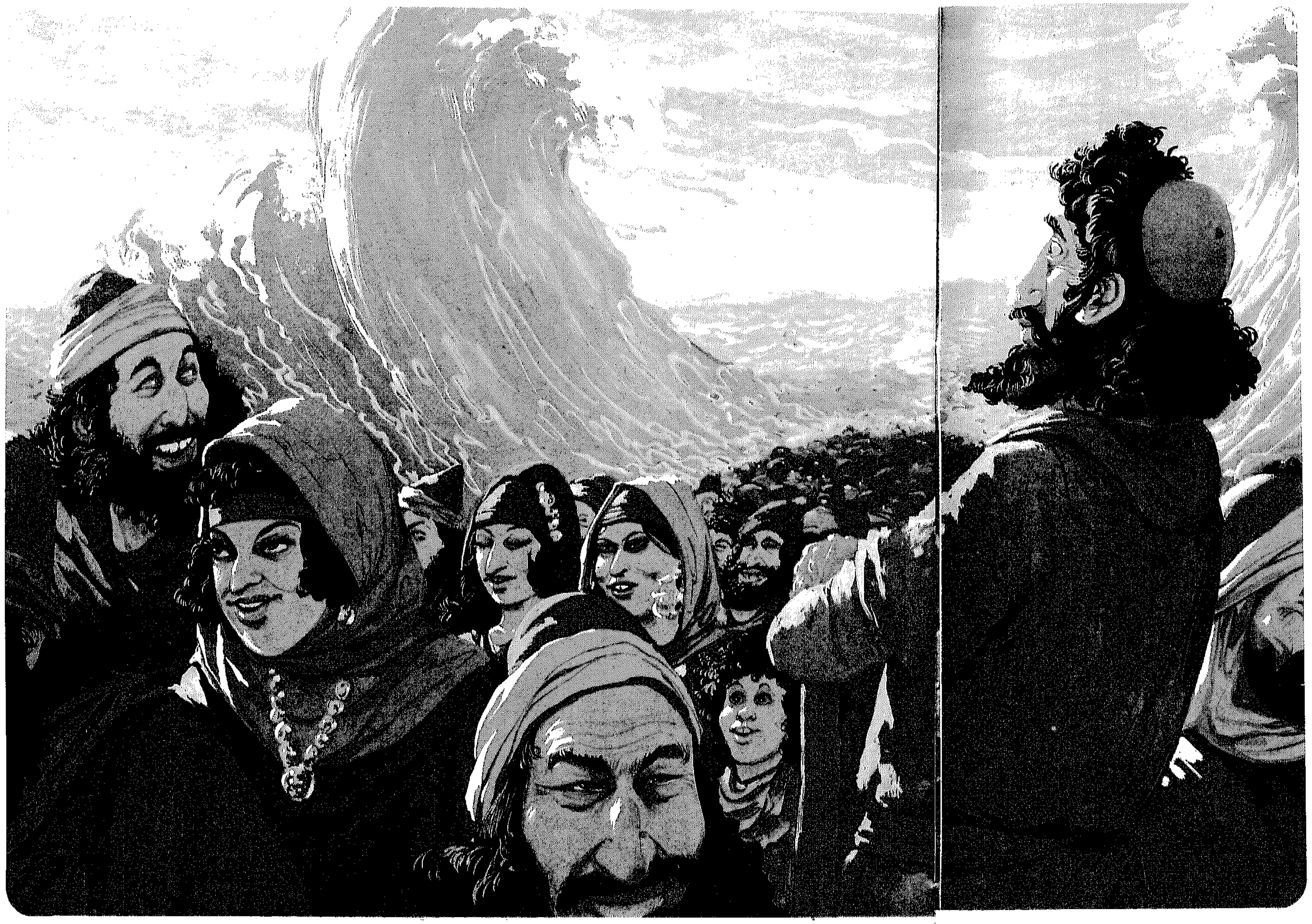

وقد لاحظَ السَّامريُّ أمرين وهو يَسيرُ مع قومِ مُوسَى بعدَ هلاكِ فِرعونَ وجُنودِه ونجاةِ بني إسرائيلَ .

لاحظ أن بني إسرائيلَ كانوا قد آقترَضوا من المصريِّينَ كثيراً من الحِليٰ الذَّهبِ ـ كعادةِ الخدمِ حين يَقترضونَ من سادتِهم بعضَ حِليهِم للظُّهورِ بها في حفلٍ أو مناسبةٍ ، ثم يَرُدُّونَها بعد ذلك ـ لكن المِصريِّينَ هَلكوا في البحرِ . . وبذلكَ صارَ الذهبُ مُلكاً لبني إسرائيلَ .

كان السَّامريُّ يُفكِّرُ في هذا الذهبِ ، وكان هذا آكتشافُهُ الأوّل . . أَما مُلاحظتُه الثَّانيةُ أو آكتشافُه الثاني فكان عجباً . .

لاحظَ أَن هناكَ فارساً جليلاً وغامضاً لا يظهرُ وجهُهُ يَتقدَّمُ قافلةَ موسىٰ ، وقد ظهرَ هذا الفارسُ حين آنشقَّ البحرُ لِموسىٰ ، وكان حافرُ حِصانِ هذا الفارسِ الكريمِ لا يقعُ على شيءٍ إلا دَبَّت فيه الحياةُ ونَبتَ فيه الزَّرعُ .

وأدرك السَّامريُّ أن هذا حِصانُ جبريلَ عليه السَّلام ، وآنحنىٰ على الأرضِ وقَبضَ قَبضةً من أَثرِ هذا الرَّسولِ الكريم جِبريلَ ووضعَها في ثيابه . .

جاوزَ بنو إسرائيلَ البحرَ . . وساروا قليلاً في سِيناءَ . . مرُّوا على قومٍ يَعكِفونَ على عِبادةِ أَصنامِهم . . وَقفوا يتأمَّلونَ المشهدَ بإعجابٍ خفيٍّ .

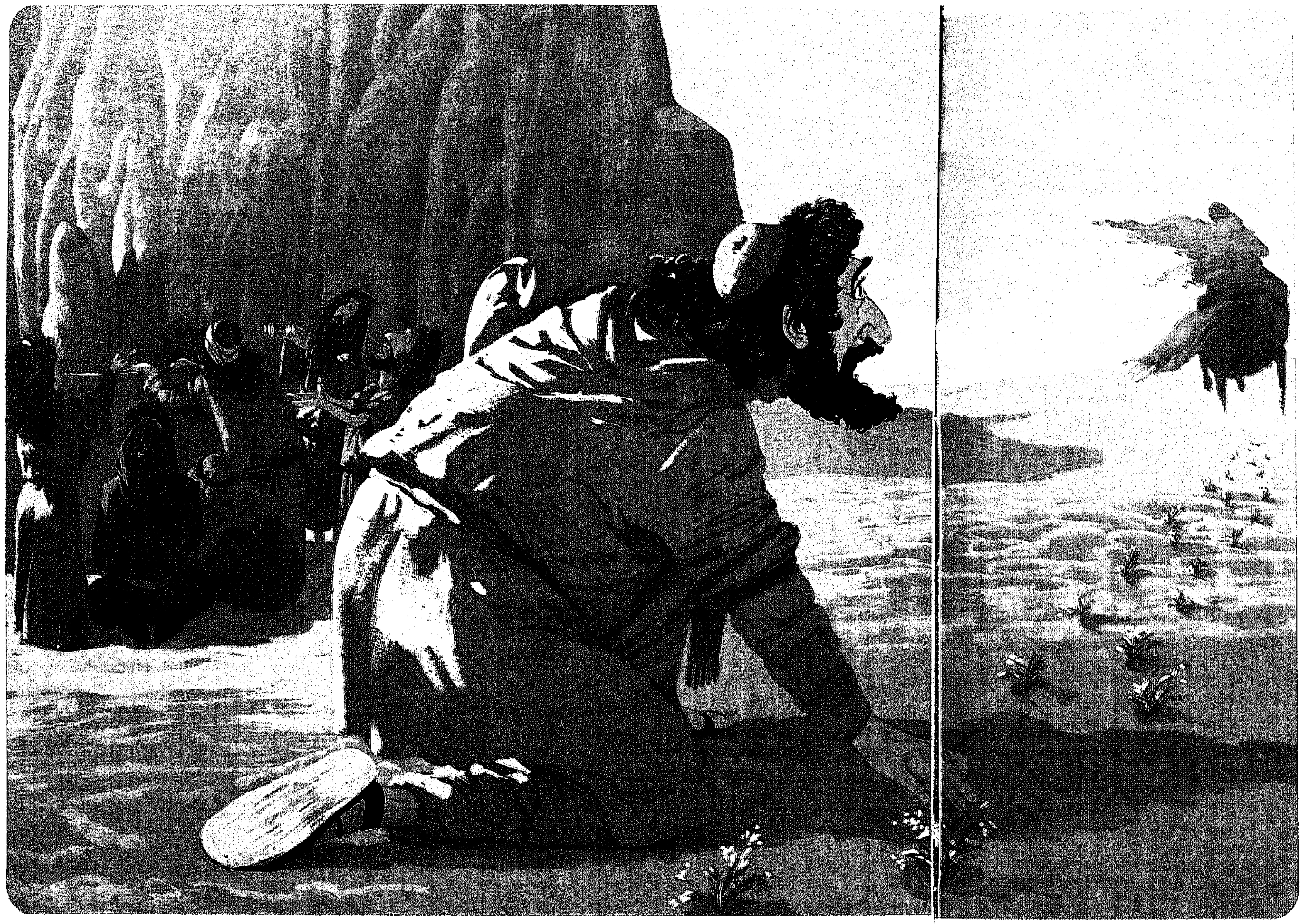

كان المَفروض أن بني إسرائيلَ هم حَمَلةُ التَّوحيدِ في الأرض في هذا الزمانِ البَعيدِ . . كان المَفروض أنهم شاهَدوا المُعجزَةَ الكُبرىٰ التي وَقعتْ لهم بِشقِّ البحر . . كان المَفرُوض أن يكُونوا مُدرِكينَ أن جيشَ فِرعونَ قد غرقَ لِكُفرِه باللهِ ، وأنهم نَجوا لإيمانِهم باللهِ . .

رغمَ كل هذهِ الحَقائِق .

لم يكدْ بنو إسرائيلَ يَشهدونَ قوماً يَعْبُدونَ أَصناماً لهم حتى آستيقَظَ فيهم حَنِينُهُم لِعِبادةِ الأصنامِ . . وتذكَّروا أيامَ كانوا خدماً وعبيداً عند المصريِّينَ ، وكيف كان سادَتُهُم يَعبُدونَ أصناماً كثيرةً تَنْتَهي في قِمَّتِها بفرعونَ ، ويبدو أن رَغبةَ بني إسرائيلَ في عبادةِ شيءٍ ملموسٍ تَرجمتْ عن نَفسها حين قالوا لِموسىٰ :

﴿ **يا مُوسىٰ . . آجْعَلْ لَنا إلٰهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ . .

غضِبَ موسىٰ وقالَ : ﴿ **إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ . . ﴿ **أَغَيْرَ آللهِ أَبْغِيكُمْ إلٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلى آلْعَالَمِينَ** ﴾ . . كيف تُريدونَ العَودةَ إلى عِبادةِ الأصنامِ وأنتم أَهلُ تَوحيدٍ ؟

آستَمعَ بنو إسرائيلَ لقولِ موسىٰ وَسكتوا . . ولاحظَ السَّامريُّ هذا كُلَّه . . وبدأَ ذِهنُه يعملُ .

وقعتْ مُشاجراتٌ كثيرةٌ بين بني إسرائيلَ . . كان مَصْدرُها ذهبُ المِصريِّينَ الذي حَملُوه معهُم حين خَرجوا من مِصرَ . لقد صارَ هذا الذهبُ الآن مُلكاً لهم بعد أن آنطبقَ البحرُ على جيشِ فِرعونَ وجُنُودِه . .

وبدأ كلُّ واحدٍ من بني إسرائيلَ يعتبرُ أن الذَّهبَ قد صارَ من حقِّهِ ، وراحَ الناسُ يُفكِّرونَ ماذا يَفعلونَ بهذا الذَّهبِ .

وتَشاجرَ البعضُ منهم على الذَّهبِ وآدّعىٰ بعضُهم أَن ذهبَ الآخرينَ مِلكٌ له . .

ولاحظَ هارونُ هذا كلَّه فأَبلغَ موسىٰ ، فأمره موسىٰ أن يَجمعَ الحِلىٰ الذَّهبَ من بني إسرائيلَ كلَّها ويَدفُنَها في الأرضِ . . وكلَّف هارونُ رجلاً فاضلاً من بني إسرائيلَ أَن يجمعَ الذهبَ منهم ، ويُسلِّمَه إليه . .

فَردَ رسولُ هارُونَ عباءَتَه على الأرضِ حتى آمتلأتْ بالحِلىٰ الذَّهبِ ، وحملها إلى هارُون ، الذي حَملَها بِدورِه إلى موسىٰ . .

وأَمرَ مُوسىٰ أَن تُحفَرَ لها في الأرض حُفرةٌ يُلقىٰ فيها الذهبُ كما هو في العباءَةِ . . ومضىٰ يهيلُ الترابَ عليه وهو يقولُ :

– هذا ذهبُ المِصريِّينَ . . وهو ليس من حقِّنا . . وفِتنتُه أكبرُ من فائِدتِه .

كان السَّامريُّ يلاحظُ هذا كلَّه وراح ذِهنُه يعملُ بِسرعةِ البرقِ لاحظَ المكانَ الذي دَفنَ فيه مُوسىٰ الذهبَ . . وعرفَ كيف يصلُ إلى المكان إذا أرادَ . . وعبرتْ ذِهنَه صورةُ العِجلِ أبيس . . معبود المِصريِّين . . وهم يحتفِلونَ بِه . . وراحتْ صورةُ الحِلىٰ الذَّهبية ، وصورةُ القبضةِ التي قَبضها من أثرِ الرسولِ جبريل عليه السَّلام ، راحتِ الصورتانِ تعبُرانِ ذهنَه وتَلحّانِ عليه إلحاحاً . .

خرجَ موسى عليـه السَّلام لِمُـلاقاتِ ربِّه . . قالَ لأخيهِ هارونَ :

﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

سـار مُـوسىٰ طَـويـلاً في الصَّحـراءِ حتى ٱنتهىٰ إلى الوَادي الذي نـاداهُ الله عزَّ وجلَّ فيه أوّل مرةٍ . .

عبرَ الوادي المُقدَّسِ وصَعدَ الجبلَ وبـدأ يُهيِّىءُ نفسَه لِميقـاتِه مـع الله . . كـان يصـومُ النهـارَ كلَّه ويَتعبَّـدُ الليـلَّ كلَّه . . كـانتْ نفسُه تـرتفِعُ من كمـالٍ إلى كمـالٍ أعـظَم ، وكـان الله تعـالىٰ يفيضُ عليه من التَّجلياتِ والأنوارِ . .

ووسطَ جـلالِ الجِبـالِ وٱمتـدادِ السماءِ وحركةِ السُّحبِ . . بدا مـوسى مِثـل نُقطةٍ صَغيـرةٍ وسطَ هذا الجَـلالِ الكـونيِّ الـذي يَتلقَّى من اللّهِ فُيــوضَ أنوارِه . .

وأتمَّ مــوسى ميقــاتَ ربِّــه أربعينَ ليلةٍ . . وكلَّمهُ الله تعالىٰ تَكليماً . .

أنزلَ عليه التَّوراةَ . .

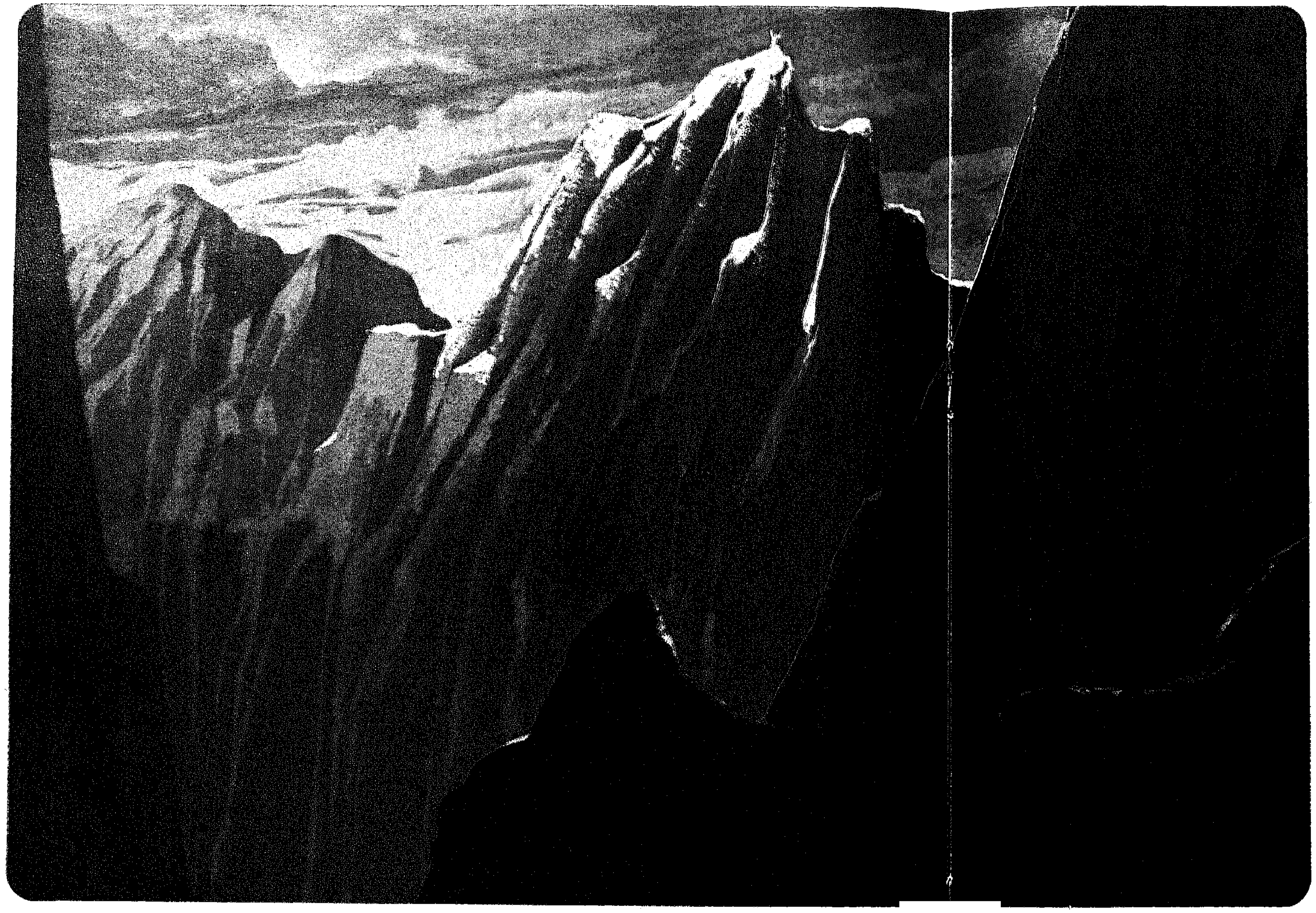

وسـأَلَه الله تعـالىٰ لماذا سَبقَ قَـومَـه وجاءَ إليهِ . .

﴿ قَـالَ : هُمْ أُوْلَاءِ عَلَى أَثَـرِي . . وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ . .

عندئذٍ حدَّثه الله تَعـالىٰ أن قومَـه قد ٱفتُتِنـوا من بعـدِه . . حـدَّثـه اللّهُ عمَّن أَضَلَّهُم .

كـان السَّامـريُّ هـو الجـاني الـذي أَخبرَ الله بٱسمِه . .

لم يكـدْ موسىٰ يَخـرجُ لِميقاتِ ربِّـه حتى بدأ عقلُ السَّامريِّ يعملُ . . تأمَّلَ أحـوالَ بني إسـرائيـلَ وأدركَ أن القـومَ

يتحــرَّقـونَ شَــوقــاً إلى عبــادةِ شيءٍ مَلموسٍ . .

كــانتْ هنــاكَ رغبــةٌ عــامــةٌ في الوثَنيةِ . .

وكـان كـلُّ مـا فَعَله السَّـامـريُّ أَنـه آستجابَ للرَّغبة العامةِ ، وهَكذا تسلَّلَ في جنحِ اللّيلِ إلى المكانِ الذي دَفنوا فيـه ذَهبَ المِصـريِّينَ ، وآستخـرجَـه وأوقدَ ناراً وبـدأ يصهرُ الـذهبَ . . كان يُفكِّـرُ في العِجـلِ أَبيس . . معبـودِ المِصـريِّين القَديمِ . . وقـررَ أن يَهدي بني إسرائيلَ عِجلاً مثله . .

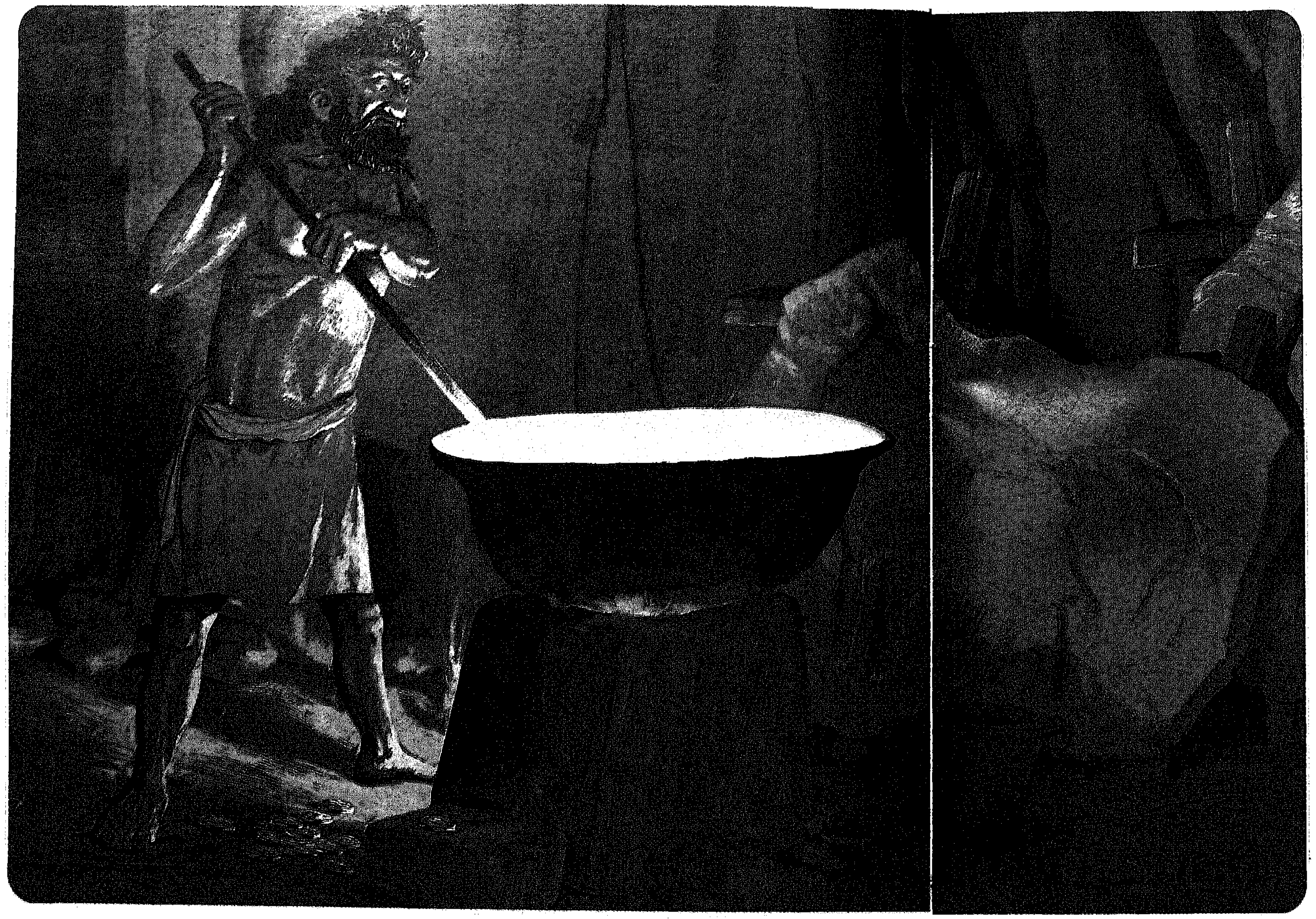

أَلـمْ يـقـولـوا حيـنَ رأَوا عَـبَـدةَ الأصنامِ : آجعـلْ لنا إلهـاً كمـا لهُم آلهـةٌ . . سَيُحقِّقُ لهم السَّـامـريُّ هـذه الرغبةَ . .

بـدأ يصنعُ قـالباً لعجـلٍ ، ثم وضعَ فيه الذهبَ الـذي آنصهَر ، ووضـع مع الـذهبِ قبضـةَ الحيـاةِ التي قَبضهـا من تُـرابٍ سارَ عليـه جِبريـل . . وآنهمـكَ طوالَ الليلِ كله يصنعُ تمثالَه . .

حتى إذا وافَى الليـلُ نِهايتَـه كـان السَّـامـريُّ قـد آنتهَى من صُنعِ عِجلهِ الذَّهبيِّ . . وكان العِجلُ لِدَهشتِه يَخورُ مِثـلَ عِجـلٍ حقيقيٍّ . . أهي قبضـةُ الحياةِ التي تجعلُه يخورُ . .أم هو الهواءُ الـذي يَـدخـلُ من ظهـرِه ويخـرجُ من فمـه ؟ مَهمـا يكُن من أمـرٍ . . فقـد آنتهىٰ السَّامريُّ من صُنعِ مُؤامراتِـه . . وقررَ وهو يتأمَّلُ العِجلَ أن يُقدمَـه هديـةً لبني إسرائيلَ بوصفِهِ إلٰهُهم الجديدُ . . وإله موسىٰ . .

سَيقـولونَ لـه : ولكنَّ موسىٰ خـرجَ لِلقاءِ إلٰهِه . .

سَيقولُ لهم : لقد نَسِيَ موسىٰ . .
خَرجَ لِلقاءِ إلٰهِه هناكَ، بينمَا هو هنا . .

هَكذا حدَّثَ السَّامريُّ نَفسَهُ . .

آستيقظَ بنو إسرائيلَ فوجدوا حُلمَهُم قد تحقَّقَ . .

شاهَدوا العِجلَ الذهبيَّ الذي صنعَه السَّامريُّ، وكان يقفُ جِوارهُ وهو يبتسمُ بذكاءٍ يُحاوِلُ عَبثاً أن يُضفي على سِحنتِه علائِمَ الطِّيبةِ .

خرَّ بنو إسرائيلَ أمامَ العِجل ورَاحوا يَتعبَّدون له ، ويَذكُرونَ كيفَ كان سادتُهم من المِصريِّين يَصنعونَ أَمامَ عِجلِهم المَعبودِ . . ويُحاولونَ تَقليدَهُم . .

ووصلَ الخبرُ لهارون أن بني إسرائيلَ الذين نجَّاهُم اللّهُ من فِرعونَ يَعبُدونَ عِجلاً من الذهبِ . .

هرعَ هارون فوجدَ القَومَ يرقُصونَ حولَ العِجلِ ويتواجَدونَ .

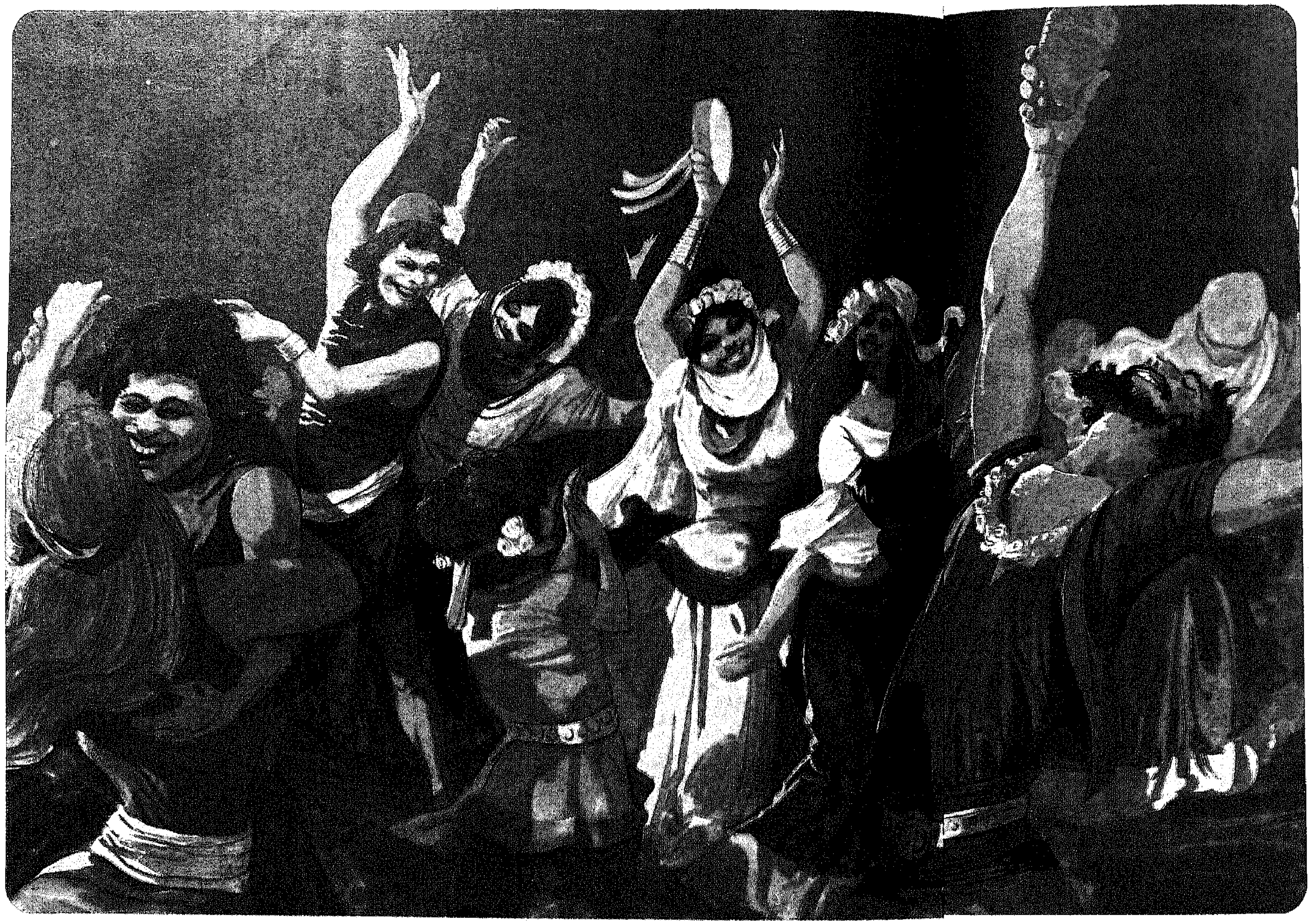

وقفَ يَصرخُ فيهم : ﴿ **إنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي** ﴾ . .

لكن القومَ لم يعبأوا بصرختِهِ . . ولا سمِعُوا تحذيراته المُتكرِّرةِ بِفَسادِ ما يَعملونَه وضلالِه . .

وقامتِ الفِتنةُ في بني إسرائيلَ . . آنقسمُوا إلى قِسمينِ . . الأغلبيةُ الكافِرةُ طَاوعتْ حَنينَها لِعبادةِ الأصنام ، والأقلِّيةُ المُؤمنةُ أدركتْ أَن هذا هِراءٌ . وعادَ هارونُ يَعظُهم ويُذكِّرُهم بِمُعجزاتِ الله التي آثرهُم بها وأنقذَهُم بها ، ولكنَّ بني إسرائيلَ رَفضوا مَوعِظتَه وآستهانوا بنصيحتِه وآستضْعفُوه وكادوا يَقتُلونَه . .

وخَشيَ هارونُ أَن يقومَ الصِّراعُ بين عَبدةِ العِجلِ والمُنكِرينَ لِعبادتِه ،

وخَشيَ أنْ يَقتتِل بنو إسرائِيلَ ، ولم يكُن موسىٰ موجوداً ، ومن ثمَّ فقد آثر هارونُ أن يؤجِّلَ المُشكلةَ حتى يصلَ .

عادَ موسىٰ غَضبان أسفاً . .

ألقى ألواحَ التَّوراةِ من يدهِ وصرخَ في قومه :

﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ .

ثم تَقدّمَ نحو أخيهِ وأمسكَ بهِ من شَعرِ لِحيتِه وشَعر رَأسهِ . . وشدَّهُ نَحوهُ وهو يَسأله بِغَضبٍ :

﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . . أَلَّا تَتَّبِعَنِي . . أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي . . ﴾ .

أنشأَ هارونُ يقولُ ـ وهو يُحاولُ تَذكيرَ مُوسىٰ بانتِمائِهما لِأُمٍّ واحدةٍ ، لكي تُثيرَ مَشاعرَ الحُنوِّ في نفسه :

﴿ قَالَ : يَا ٱبْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي . . إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ .

تَراخَتْ قَبضةُ موسىٰ التي تُمسكُ بهارونَ قليلاً ، وعادَ هارونُ يقولُ :

﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ ﴾ .

أَطلقَ موسىٰ سراحَ هارونَ وهو لم يزلْ يرتَعِش . . سأَل :

ـ أينَ السَّامريُّ ؟

برز السَّامريُّ ووجهُه في لونِ الليمونِ الأخضرِ . .

سأله موسىٰ :

﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ؟

أعترفَ السَّامريُّ في مُحاكَمتِه بكل شيءٍ . .

قالَ كلَّ ما حدثَ . . تَفكيرُه في ذهبِ المِصريِّين ، والقَبضةِ التي

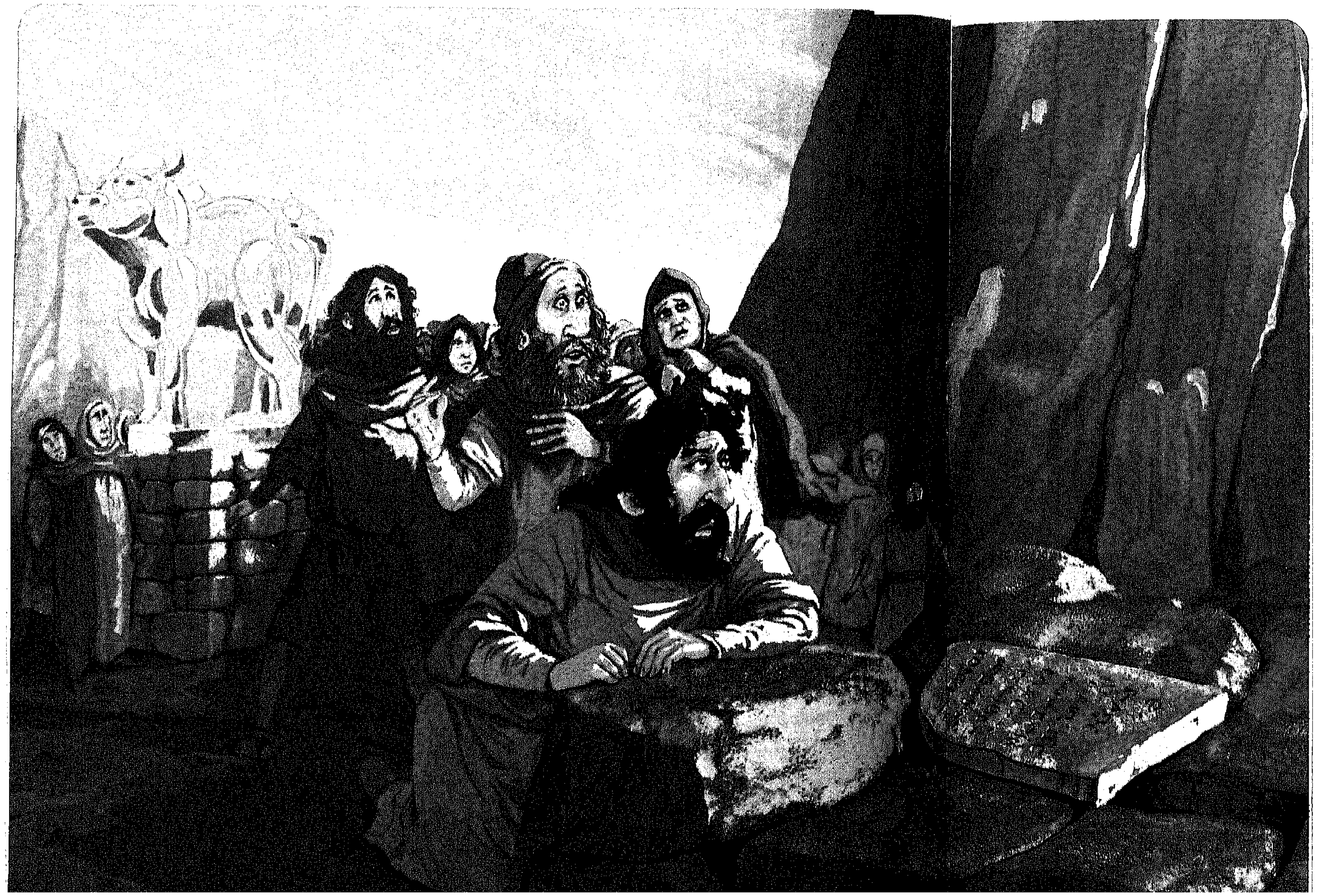

قَبَضَها من أثرِ الرسولِ جبريل .

تحدّثَ عن صِناعتِه لِلعِجلِ . .

وآدِّعائِه أنه إلهُ القومِ وإلهُ موسى . .

حين وصلَ السّامريُّ لهذا الحدّ من آعتِرافاتِه صمتَ فَجأةً . . لم يكُن يَعرفُ ماذا يقولُ . .

سأَلَه موسىٰ بِغضبٍ : لِماذا فَعلتَ ما فَعلتَ ؟

قالَ السّامريُّ مُنهاراً : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي** ﴾ .

هَكذا أمرَتني نفسي الأمّارةُ بالسُّوءِ . وصدر الحُكمُ على السّامريِّ والعِجلِ معاً . . كما صدَر الحُكمُ على الذين ظَلموا أنفُسَهُم بِعبادةِ العِجلِ . .

أما السّامريُّ فقد حُكِمَ عليه بالوحدةِ في الحياةِ، حُكِمَ عليه بالنَّفيِ داخلَ جسدهِ.

قالَ له موسىٰ : ﴿ **فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ** ﴾ .

هذا يَعني أن لا يَمسَّ أحداً أو يَمسَّه أحدٌ . . عقاباً له على مَسِّه ما لم يكن ينبغي له مسُّه من ترابٍ سارَ عليه جِبريلُ عليه السّلام . .

بعد أن أصدرَ موسىٰ حُكمَه على مُدبِّرِ الفِتْنةِ حكمَ على أداةِ الفتنةِ بالنَّسفِ ، أمرَ أن يُحرقَ العِجلُ الذهبُ ويُنسفَ وتُلقى بقاياهُ في اليمِّ . . لم يَكتفِ بصهرِهِ أمامَ عُيُونِ القومِ المَبهوتينَ ، وإنما نسفَه في البحرِ نَسْفاً ، وتَحوَّل الصنمُ المعبودُ أمامَ عيونِ المفتونينَ به إلى رمادٍ يتطايرُ في البحرِ . . وآرتفَع صوتُ موسىٰ والصنمُ يَحترِقُ . . ﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً** ﴾ .

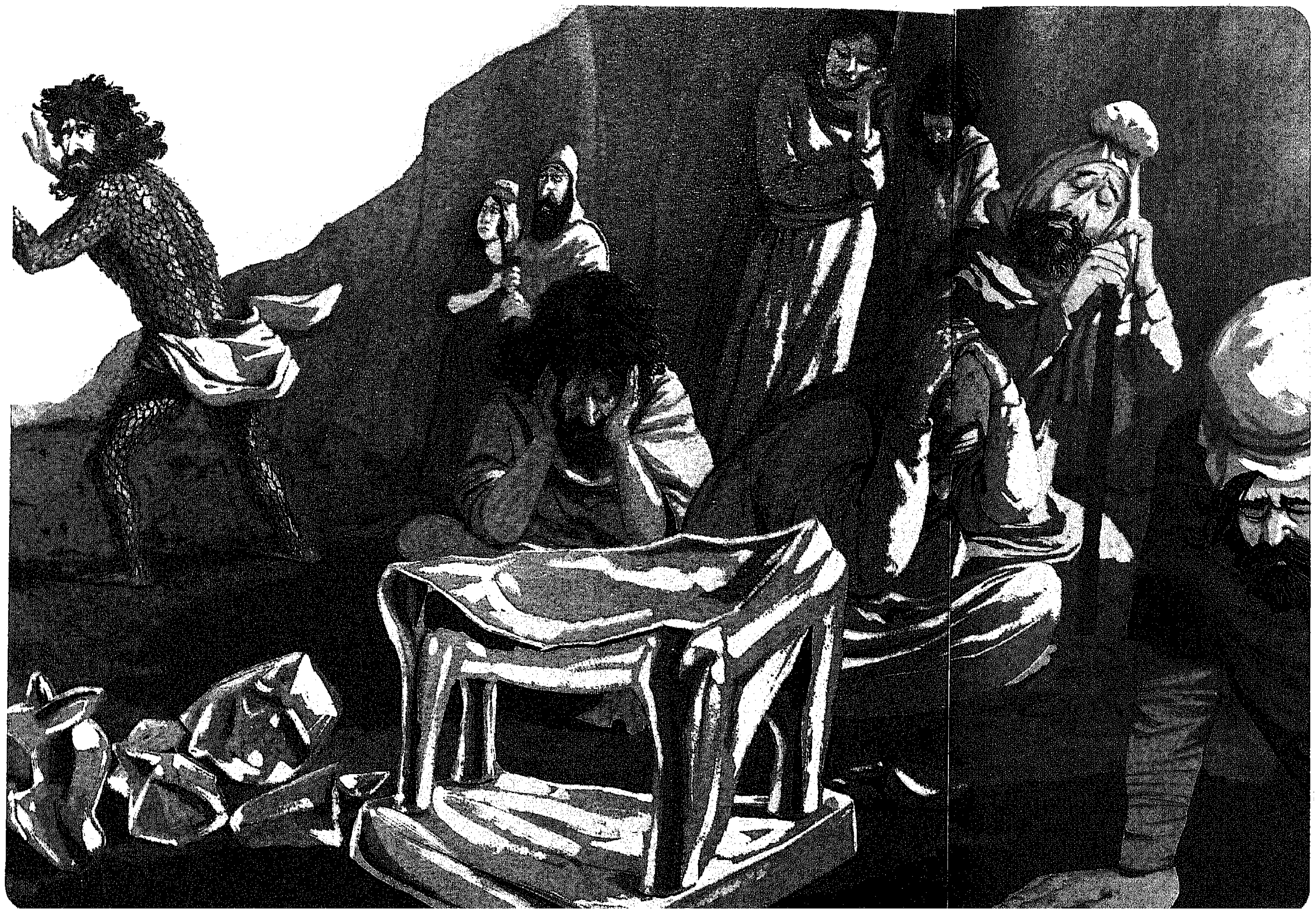

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ۝
فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ۝ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ
ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ۝ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۝ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن
قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝
قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ
إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝
قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ
وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا
۝ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝

صدق الله العظيم